المبحث التاسع والعشرون:

أهمية اختيار الأولويات .

لقد أخطأ السياسي العربي في اختيار أولوياته و(الوحدة) مثالٌ على ذلك، حيث أساء إليها كهدف سواء كان يدري أو لا يدري، وكاد أن يجعلها "أضحوكة "أمام الجماهير، وهذا خطأ ايديولوجي يجب معالجته بعمق وعلى السياسي العربي أن يدرك، بأن العامل العاطفي عامل يجب ألا يستهان به وإهماله ، لأنه يحرك الوجدان لدى إنساننا العربي ويحفزه نحو أهدافه، هذه الحالة التي يجب أخذها بعين الاعتبار، ونحن نناضل لتحقيق أهدافنا لما للفشل والنجاح من أثر، على العامل العاطفي في حاضره ومستقبله.

خاصة وأن هذا السياسي مرَّ بتجارب كثير ة ، ولكنه لم يستفد منها ومن تأثيراتها على حركة نضاله صوب أهدافه الاستراتيجية ، لأن مثل هذه الأحداث وما يملكه من موقع جغرافي وتراث غني وشعب حيوي مبدع ، يؤهله لكي يبني بيئة الإبداع للمبدعين، وسنشير باختصار الى بعضها من خلال البنود الآتية :

البند الأول: جدلية الحدث:

يشكل الحدث عاملاً مهماً في تحريك الطاقات الإبداعية في الإنسان، وانطلاقتها وتحقيق نتائج ملموسة لها، على أرضية الواقع.

وقد مرت أمتنا العربية بأحداث قاسية مريرة مؤلمة، تعيد الميت حياً، لكن ذلك لم يتحقق لهذه الأمة العظيمة، نتيجة المؤامرات الكبرى التي لم تنقطع ضدها، بسبب خشية القوى الاستعمارية والمستغلة منها ونتيجة امتلاكها لمقدرات لا يملكها الآخرون، ولأنها الأمة المميزة بالحضارات والرسالات السماوية والإبداعات الأرضية التي شهدتها.

حين نعكس هذه الحقائق، لانقصد تبرير التقصير الذي نحن نحمل العبء الأكبر، لكن الحقيقة والممارسات تؤكد استهداف هذه الأمة، التي بنت حضارات "تل

obeikandi.com

مرديخ وراس شمرا وباميرا وإبيلا وأوغاريت و وقرطبة وقرطاج... الخ، وهي الأمة التي جاء على ارضها {موسى وعيسى ومحمد} عليهم الصلاة والسلام، هذه الأمة التي يطمعون بخيراتها، لأنهم يدركون بأن التقدم العلمي والتقني الذي أصاب الغرب ليس من فعلهم فحسب (لا بشرياً و لا مادياً ولا معنوياً) بل كان لمساهمات مبدعي هذه الأمة ولثرواتها الدور الأهم في التقدم بجميع جنباته المعروفة.

وفي كل حال ونحن نعرف ذلك، علينا أن نعترف بالخلل الذي ينتابنا ويحول دون إبداعنا، وأن نعمل ونحن نعترف لنخرج من كهوف التخلف والتبعية، وذلك من خلال خططنا التي يضعها مبدعونا وسياسيونا، وينجزها بمهارة وابتكار شعبنا العظيم الذ ي يعرف ماضيه وحاضره ،في الإبداع الحضاري والإنساني، كما علينا ألاً نلومهم إن كانوا يغرقون في مرض الدونية والنزوع الاستكمالي الدوني، فما علينا إلا المتابعة لتوحيد أجزائنا وإعادة دورنا وإحياء رسالتنا كي نعيد و يعود هؤلاء إلى رشدهم الإنساني .

لذلك يبدو أن الأحداث التي مرت بنا كانت غير كافية لإحيائنا ونهوضنا، حين واجهنا التتار والمغول والأتراك والصهيونية والاستعمار، بكل ألوانه وأسمائه وما زلنا نواجه، ونحن الذين قُسمنا إلى أكثر من (20) دولة وجزأت أراضينا، وهي التي تُطل على بحور ومحيطات، منها [الأبيض والأسود والأحمر والهادر والهادي والحي والميت]، فلماذا نختار ذاك الميت منها ونحن أبناء المستحيل ؟؟؟الذي نستطيع أن نحيله بإبداعنا إلى ممكن يلُمسه الكون ويعيشه الجميع.

والمثال المعاصر تقريباً: لجدلية الحدث هو العدوان الثلاثي على مصر هذا الحدث الذي هزً الأمة من المحيط إلى الخليج، وبعث القائد "جمال عبد الناصر"، وهو الحدث الذي نبذ فيه الفرد والمجتمع الذات الضيقة وجسد البعد القومي وما الممارسة التاريخية الحية المعبرة عن ذلك حين غلّب الزعيم العربي السوري (شكري القوتلي) الموضوعية على الذاتية، ولبى نداء الوحدة مع الشقيقة مصر، بتنازله عن منصبه كرئيس للجمهورية العربية السورية (إن المناصب لا تدوم) إلى القائد الثائر

obeikandl.com

جمال عبد الناصر، ولكي يطلق على رئيس سورية السيد شكري القوتلي اسم (المواطن العربي ألأول) إنه الثمن النضالي الأغلى، الذي لا يعادله ثمن اسم (المواطن العربي الأول).

هذا الحدث الذي بعث وحدة 1958 بين سورية ومصر والتي غدت الجمهورية العربية المتحدة، رغم الصهيونية المستوطنة في فلسطين وحلفائها، الذين جن جنونهم و جندوا ضدها وحشدوا ليسقطوها، والمؤسف في ذلك أن معاول عربية داخلية وعربية وخارجية معلومة وخفية أسقطت هذه التجربة الرائدة .

البند الثاني: جدلية الجغرافية.

من الثابت علمياً بأن للجغرافية أثر في التكوين البنيوي والنفسي للكائن الحي وخاصة العاقل ومن لا يتصور ويؤمن بأن للجغرافية هذه الجدلية، فعليه أن يبحث بين ظهرانيها عن هذه الحقائق الدفينة الدالة عليها، والتي نعيشها ولكننا لا نوليها أهميتها التي تستحق، فبلاد الشام تشكل هذه الجدلية، في أرض واحدة متكاملة بسهولها وجبالها وهضابها وبحورها وأنهارها، المتقاربة المتقاطعة الرافدة لبعضها بعضا، القائلة إننا ننتمي الى هذه الأرض الطهور الغنية بكل ما يخطر ببال من ثراء ومن معادن وزراعة وبخور ومن بترول وغاز وفوسفات وبحور، جميعها تقول إننا نؤثر ونتأثر ببعضنا بعضا بلغة محكية وغير محكية بلغة مكتوبة على جبين ثرانا وجبالنا وسهولنا وغير مكتوبة على محيا بحورنا ومنطوقة من خلال إنجازاتنا التي تحكيها أوابدنا، إنها حقائق تراها العين المجردة، ولكنهم يصرون ويبذلون اقصى ما يستطيعون ليقول وليفرقوا بقولهم، هذا لبناني وذاك أردني وهذا فلسطيني ، وجارنا سوري، حتى أنهم قتلوا القائد أنطون سعادة، لأنه قال السوريون أمة تامة وحاربوا النبي العربي العظيم الذي دعا لشامنا ويمننا، حقاً أنها جدلية الجغرافيا التي يجب أخذها بعين الاعتبار وإحيائها وبعثها من جديد، علها أن تسهم في إذكاء العقول والنفوس وتنسق وتعزز وحدة الصفوف.

وعندما أشير الى ذلك فأنا أستلهم من علماء الأمة العظماء الذين تحدثوا عن اثر الجغرافيا في التكوين ومكونات الإنسان ، ومنهم:
{ ابن المقفع – والفارابي – وابن خلدون }

لهذا لا أريد أن أفصّلْ في اللون البشري واللغة واللهجات، والطباع والعادات والتقاليد، الأهداف والمصير (وأخيراً المركب الواحد) فكلها في حضن الجغرافيا تمرح وتسرح، في سهولها وجبالها وتضاريسها، وتتباهى بما تبطنه وتعلنه في باطنها وعلى سطحها من كمال وتكامل.

البند الثالث: جدلية التاريخ.

إن التاريخ حسب "هيغل" يسير بشكل عقلاني بالرغم من الثورات الهوجاء والفوضى والمآسي، لكنه في النهاية يتحكم فيه العقل، الذي هو الذي يصوب مساره في الاتجاه الصحيح ، ولقد مرّ" هيغل" على الصراعات التي واجهت المجتمعات الأوربية مع المسيحية المتزمتة التي وقفت ضد التنوير، واعتبر أن ما جرى يشكل " فوضى خلاقة" وهذا ما أشار اليه الكاتب{ ناجي صفا} والذي اعتبر ما جرى في منطقتنا العربية من الذين اعتبروا انفسهم ثواراً قد يكون نتيجة تأثرهم بهيغل ونظريته (الفوضى الخلاقة) التي يتحقق بعدها " الإيجابي المطلوب" و لكن يبدو أن ذلك لا يمكن تحقيقه ولن يكون في بلداننا العربية.

وفي هذا المجال أرى بأننا نعيش هذه الفوضى منذ قرون، ولم تتحقق نبوءة (نظرية هيغل) لدينا، هذه النظرية التي لست من روادها، لأن أؤمن بأن إرادة التغيير المنظمة الهادفة المعبرة عن الجماهير الواسعة والشاسعة من الشعب ، هي التي تمتلك العقلانية وصنع التاريخ وتصحيحه .

ويبدو أن عدم جدوى نظرية "هيغل" لدينا ليست دليلاً على عقمنا وعدم قدرتنا على التطور والإبداع والتقدم، بل لأسباب تتصل باختلاف الأزمان وظروفها ومكوناتها، وبالتالي تغيير أحكامها والحكم عليها إن كانت صحيحة أم قبيحة، كما يعود

إلى خلل ذاتي في النظرات الاستباقية لدى العديد من التنظيمات السياسية، التي تعمل على الساحة العربية، هذه الظاهرة التي تتحمل مسؤوليتها تلك التنظيمات، لأنها هي المعنية بقيادة العمل النضالي ، و المسؤولة عن مواجهة الفوضى الخلاقة وغيرها ، لأن منطقتنا بحاجة الى إدراك حقيقة نحملها بفكرنا وبممارساتنا، وهي أن نصنع التاريخ بأنفسنا .

البند الرابع : جدلية التحديات "القريبة والبعيدة".

في هذه الجدلية يطرح تساؤل، هل الحضارات تتأخى؟ أم تتناقض مع بعضها؟ وهل العقول تلقح بعضها كما يقولون؟ وهل المصالح يمكن أن تتكامل أم ستبقى سببا في الحروب التي تواجه الأمم؟ أسئلة عديدة نستطيع طرحها ولكننا نجيب بأن لكل عقدة حل، والليل لابد أن يعقبه النهار، لأن التكامل والتآخي والتواصل والمصالح المشتركة هي التي يجب أن تكون محكمة، ولكننا بنفس الوقت نؤمن (بأن اليد العليا خير من اليد السفلى) وبالوقت نفسه قد نصادف في مسيرة الشعوب أسوأ الاحتمالات، والتي تتمثل في المطامع والغرور وحب السيطرة واستغلال خيرات الشعوب الأخرى .

هذه الحالات التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، عند الحسابات وعند التخطيط بعيد المدى، لكي ندرك في مسارات القوة والضعف، كيف يمكن ان نفكر وأن ننفذ وكيف يمكن ، ان نحول دون التدخل الخارجي ،(الذي يلعب في استغلال الثغرات في بنيانا الذاتي وتحريك مكامن الضعف في بنية الدولة المهملة، للإيقاع بها والسيطرة عليها والتاريخ يسوق لنا الكثير من الحادثات التي سجلها لأمم شتى.

لهذا السبب يجب دراسة جدلية التحديات المجاورة القريبة والبعيدة، وعدم الاستهانة بها لوضعها في حيزها الذي تستحق دون أن نغفل الإيجابيات في الوصل المتكافئ، وفي العلاقات الندية والمبدئية بين الشعوب قبل الدول ، وإلا وقعت الدول في براثن سياسات الغباء والإيقاع، لأن تجربة استعمار الأمريكيتين التي لعب بها الإسبان دور

(الفاتح المسيحي)، نجد شعوبها تنظر إلى هذا الفتح نظرة مختلفة وتراه بأنه قد تم على حساب الحرية والإنسانية، عندما أبيدت حضارة (المايا)... وانتهى الهنود الحمر، وقد تلمس وتسمع أقوالاً تؤكد :" بأن الشعوب في أميركا الجنوبية تشعر بأن اللغة الإسبانية تذكرها بذاك الاستعمار الإسباني.

لذلك فإنني أقف هنا مع فكرة الأستاذ "علي المحجوبي" في هذا الجانب حينما قال: من خلال عنوان ما كتبه (العالم العربي الحديث والمعاصر: تخلف فاستعمار فمقاومة) هذا الموقف الذي يضع الذات العربية أمام مسؤولياتها، دون أن يحق لها بأن تلقي باللائمة على أحد وبخاصة الخارج (استعماراً كان أم فاتحاً دعياً، أم فاتحاً، أم متدخلاً) ففي كل الأحوال يجب أن يكون لهذه الذات دورها الأساس والحاسم، "فالضعف ضعف ولو ألبسته ماس الدنيا.

من خلال هذا يجب أن ندرك ونفهم ونلتزم لنرتقي الى الآتي:

- ❖ الاستعداد الدائم لمواجهة الاستيطان والاستعمار بكافة أشكاله أن ندرك بأن الفقر والتخلف والعبودية، يبقوا جميعا أعداء للسيادة والحرية والإبداع.
- ❖أن يبنى الفكر المجتمعي على حقائق، لا تحتمل الاجتهاد وأن ندرك بعمق بأن "أسياد إبداع وابتكار الأمس قد لا يكونون بالضرورة أسياد اليوم والغد".
- ❖ إن الوعي بعمق ومسؤولية، بأن التاريخ وعلاقته الجدلية مع الحاضر والمستقبل، هامة ومهمة، ولكن ليس على إطلاقها، لأن الركون والاتكاء على التاريخ، يمثل حالة غير صحية تجعل الشعوب في واقع المراوحة العدمية، وتضعها في الحالة التي يطلق عليها (اجترار التاريخ) وليس استلهامه استلهاما، وهي حالة مكرورة لا إنتاج ولا إنتاجية تتوخى منها.
- ❖إن خطة البناء المعرفي للعقول، وتسليحها بالعلم والفكر والمعرفة غاية استراتيجية، لتكون في خدمة أمتها وإنسانيتها.
- ❖إن بناء القطاعات الإنتاجية التي تعكس إنتاجا وانتاجية والاكتفاء الذاتي، غاية في الأهمية الإستراتيجية، لما لذلك من أثر في حماية الإنجازات والحرية والسيادة،

obeikandl.com

لأن الذي أصاب الأمة العربية، ويصيبها الآن ، سببه فقدان الحصانة والمناعة الذاتية والهنات الحقيقية التي تعتور البناء السياسي والاجتماعي العربي، لذلك (فإن مفهوم المقاومة لتحرير الأرض والإنسان وممارسته وفق أسس مبدئية)، نهج يتقدم الصفوف في البناء الشامل، لأن بناء الاقتصاد القوي مقاومة، وبناء الهيكلية السياسية القوية القادرة المعبرة عن شعبها، هي مقاومةٌ أيضاً.

❖ أن العمل الهادئ المدروس في سبيل توحيد النهج التشريعي بين البلدان العربية، وبخاصة الدول المجاورة، كما أن السير في توحيد النهج التربوي للأجيال، وبخاصة ما يتصل بالعقائد الروحية، والمرأة التي نجدها مغيبة في العديد من البلدان العربية، وهذا برايي يشكل هدرا ونزفا وتغييبا إبداعيا وإنتاجيا دائما في جسد الأمة العربية.

❖ السير في نهج وحدة وضع الأنظمة والقوانين التي تحقق التكامل في كل ماله صلة في العلاقات بين أبناء الأمة (زراعية – صناعية – تجارية – تربوية – وتوضيح وحدة المصير والأهداف الخ)

من هنا يتضح لنا أهمية الوحدة لأمتنا، وخطورتها على أعدائنا فيما لو تحققت كما لا بد لنا من أن ندرك بأن أعداءها سوف يزدادون ضراوة في عدوانهم وتآمرهم على شعبنا ومقدراته.

obeikandl.com